الحياة الطيّبة
السنة 21
العدد 38
خريف 2017 م
ملف العدد

# الصّحوة الإسلاميّة ودورها في تحقيق الوحدة الإسلاميَّة

أ. الدكتور عبد المجيد زراقط[1]



## خلاصة المقالة:

تتناول هذه المقالة الصحوة ودورها في تحقيق الوحدة الإسلاميَّة، وتشكيل القوّة الإسلاميّة الفاعلة في هذا العالم. وقد جرى تحديد مفهوم الصحوة وأسسها، وبيان تجدّدها في كلّ عصر، وقد تجدَّدت في هذا العصر -بعد عهد طويل من الإغفاءة- بالوقوف عند حقيقة الواقع الإسلاميّ قبل الصَّحوة من منظورين: أوّلهما منظور الغرب الاستعماريّ، وثانيهما منظور العلماء المسلمين المصلحين المجدِّدين، وتبيَّن أنّ هؤلاء العلماء قد دعوا إلى الصحوة؛ لكنّ دعوتهم كانت فرديّة نخبويّة، في حين كانت الصَّحوة المعاصرة في إيران شعبيَّة ونخبويّة في آن؛ حيث حقَّقت الثورة، ثمّ أقامت النظام الجمهوريّ الإسلاميّ.

من الواضح أنّ الوحدة الإسلاميَّة هي الهدف الأساس للصَّحوة الإسلاميَّة، وهنا تبدَّت ثنائيّة المؤمنين المبشَّرين والمنذَرين الغافلين الأشبه بالأنعام بل أضلّ، فخلاف المؤمنين مع هؤلاء ليس هو الاختلاف بين المذاهب الذي يعدّ أمرًا طبيعيًّا. وهنا تبدّت ثنائيّة الوحدة والاختلاف بوصفها ثنائيّة تكامل تفضي إلى الوحدة، كما أمر القرآن الكريم والسنَّة الشريفة. وقد كبر خطر «الأشبه بالأنعام»، فغدوا تكفيريّين إرهابيّين يخرجون على الإسلام ومنه، وبدت سبل التعامل مع الآخر جليّة في القرآن والسنَّة؛ ومنها الحوار الذي تفضي مؤسّساته المركزية والفرعية إلى تربية جيل إسلاميّ يحقّق

(1) باحث وأستاذ جامعي، من لبنان.

الوحدة، ويشكّل القوّة الإسلاميَّة الفاعلة في هذا العالم، في سبيل سعيه إلى تشكيل شكل من أشكال الوحدة الكيانيّة.

## مصطلحات مفتاحيّة:

القرآن الكريم، السنّة الشريفة، الإسلام، الصحوة، الوحدة، الواقع، الوعي، الاختلاف، المذاهب، الآخر المختلف، ...

استخدمت مصطلحات كثيرة للدَّلالة على الصَّحوة الإسلاميَّة، منها: اليقظة الإسلامية، يقظة المسلمين، وعي المسلمين، النَّهضة الإسلاميَّة، نهضة المسلمين، أمَّا المصطلح الذي شاع واستقرَّ فهو المصطلح المعتمد في هذه الدِّراسة، أي مصطلح «الصَّحوة الإسلاميَّة».

## أولًا: مفهوم الصَّحوة الإسلاميَّة وأسسها:

الصَّحوة[1] الإسلاميَّة تعني إفاقة الأمّة الإسلاميَّة من غفوة كانت الغيوم تملأ فضاءها فيها، والرؤية الواضحة النَّافذة الكاشفة إلى واقعها في فضاء صحوٍ تنقشع فيه الغيوم، وتغيب فيه معوِّقات هذه الرُّؤية جميعها؛ ما يفضي إلى سعي الأمَّة إلى مواجهة تحدِّيات عالمها من منظور رؤية الإسلام الشاملة، وإقامة النظام الإسلاميّ الذي يحلّ مشكلات المجتمع، وتحقيق الوحدة الإسلاميَّة، والإسهام في بناء حضارة الإنسان بصيرورة هذه الوحدة قوَّة فاعلة في هذا العالم.

وفي ضوء هذا المفهوم، نستطيع تحديد أسس الصَّحوة الإسلاميَّة وفق الآتي:

الإفاقة من الغفوة، واليقظة، والنهضة.

وعي الذات هويَّتها، وإجابتها بوضوح عن السؤال: من نحن؟ ما يتيح تحقيق التقريب بين المذاهب الإسلاميَّة وتحقيق وحدتها؛ لأنَّ هويّة أبناء هذه المذاهب الإسلاميَّة جميعها هي الهويَّة الإسلاميَّة.

(1) الصَّحوة في اللغة من «صحا». ومن معانيها في اللغة: ارتفاع النَّهار، وذهاب السُّكر، وترك الصِّبا والباطل، وذهاب الغيم، والإفاقة وعودة الوعي (انظر: الرازي، محمد بن أبي بكر: مختار الصِّحاح، ط. حديثة ومنقّحة، بيروت، دار ومكتبة الهلال، 1988م، ص356-357).

امتلاك معرفة عميقة وشاملة بالإسلام؛ بوصفه عقيدة، ونهجًا، ورؤية، ونظامًا...

امتلاك معرفة بأصول الاجتهاد واستنباط الحلول للمشكلات المستجدَّة في مختلف المجالات.

امتلاك المعرفة العلميَّة الحديثة في مختلف المجالات.

الرؤية إلى الواقع العلميّ، الاقتصادي، السياسيّ، الاجتماعي؛ المحلّيّ والإقليميّ والدوليّ، من منظور المعرفة التي تمّ امتلاكها.

امتلاك معرفة بالتراث، وتخليصه من البدع والخرافات، وإحياء الحيِّ المُسهم في إغناء الصَّحوة منه.

السَّعي إلى تحقيق الاستقلال والتنمية والإنجازات التي تجعل المسلمين قوَّة منتجة فاعلة، مسهمة في بناء الحضارة الإنسانيَّة في مختلف المجالات.

## ثانيًا: الصَّحوة المتجدِّدة:

جاء في القرآن الكريم ما يفيد أنّ «**أمَّة**» من المسلمين تدعو إلى الخير في كلِّ عصر، وتحقِّق الصَّحوة الإسلاميَّة: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ﴾[1]، كما تنفر طائفة من كلّ فرقة من فرقها للتفقُّه في الدين، وامتلاك سبيل الصَّحوة: ﴿فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ﴾[2].

وفي هذا العصر -كما في كلّ عصر- نفرت طائفة من المسلمين، وتفقَّهت في الدين، ونهضت تدعو إلى «**الخير**»، وتمثّلت دعوتها في ثورة إسلاميَّة شعبيَّة، انتصرت وأقامت نظامًا إسلاميًّا يمتلك شرعيَّةً دينيّة وشعبيَّة في آن، ومنظورًا تمكَّن من استنباط الحكم الشرعيّ في الإجابة عن الأسئلة المعاصرة من مصادر التشريع الإسلاميّ، على مستويي الأفراد والمجتمع، في الوقت نفسه الذي امتلك فيه المعرفة العلميَّة الحديثة، وأجاد توظيفها.

(1) سورة آل عمران، الآية 104.

(2) سورة التوبة، الآية 122.

وقد حدث هذا في إيران في العام 1979م، مباشرةً بعد أن وُقّعت معاهدة «**كامب ديفيد**» ودخلت حيِّز التنفيذ، وبدا أنّ نظامًا أميركيًّا-صهيونيًّا يترسّخ في المنطقة، فتمَّ إيقاف مسار التاريخ وتحويله إلى مسار آخر. في هذا الشأن يجري الصِّراع الآن، والأمل بأنّ الانتصار سيتحقَّق، هذا ما يقوله الإمام الخميني قدس سره: «إنّ الله تعالى قد وعد بانتصار المستضعفين على المستكبرين بتوفيقه ووعده وجعلهم أئمَّة، وها هو الوعد الإلهيّ قريب من تحقُّقه، إنَّنا لنأمل أن نشهد نحن هذا التحقُّق»[1].

ويعود هذا الأمل بالتَّحقُّق إلى عامل الوعي واليقظة؛ كما يضيف الإمام الخميني قدس سره: «إنّ نقطة الوضوح التي تزيدني في أواخر عمري أملًا تتركَّز في هذا الوعي، وتلك اليقظة، اللذين يسريان في هذا الجيل الشَّاب. إنَّها روح سارية بكلّ سرعتها؛ وهي، بحول الله تعالى، ستصل إلى نتائجها الحتميّة، فتقطع أيدي الأجانب، وتبسط العدالة الإسلاميَّة»[2].

هذا الانتصار والأمل بتحقُّق الوعد الإلهيّ يعودان إلى اليقظة/ الصَّحوة التي تحقَّقت، في مسارٍ من الإنجازات؛ ما أعاد الحياة إلى المسلمين الناهضين من سباتهم. وهذا ما كان الإمام الخميني قدس سره يوجّهه في نداءاته إلى عموم الشعب الإيرانيّ، ومنها النداء الذي وجّهه إلى الشعب في العامّ 1972، جاء فيه: «... فاستيقظوا، وأيقظوا الغافلين، عودوا أحياءً، وامنحوا الحياة للأموات، وانطلقوا تحت لواء التوحيد، لتطووا ملفَّ الاستعمار بنوعيه الأحمر والأسود»[3].

ومن هنا، يمكن إثارة التساؤل عمَّا كان عليه واقع المسلمين قبل حدوث هذه الصَّحوة؟!



(1) مجموعة من الباحثين (المعاونية الثقافيّة للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلاميّة): الصَّحوة الإسلاميَّة - حقيقتها وسبل دعمها وترشيدها-، إشراف: علي أصغر الأوحدي، ط1، طهران، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلاميّة، 1433هـ.ق/ 2012م، ص120.

(2) م.ن، ص122.

(3) م.ن.

## ثالثًا: الواقع الإسلامي قبل الصَّحوة:

في أواخر القرن التاسع عشر، وأوائل القرن العشرين، وبعد إغفاء العالم الإسلاميّ إغفاءة طويلة، بدأ منعطف تاريخيّ؛ إذ أنهى الغزو الغربيّ الكيان السياسيّ للخلافة العثمانيّة، واحتلَّ العالم الإسلاميّ، وقسَّمه إلى دول كثيرة، وعمل على أن تكون هذه الدّول مزارع وأسواقًا له، وعلى أن يكون هو مركزها الحضاريّ، فتركّزت علاقاتها به، وقطعت صلاتها بعضها ببعضها الآخر، فغدونا، نحن العرب، على سبيل المثال، نعرف عن الغرب أكثر ممّا نعرف عن إيران وتركيا وباكستان والهند...

في هذا الوقت، كان الغرب متقدِّمًا، وكان المسلمون متأخِّرين، وطُرِح السؤال: لماذا تأخَّر المسلمون وتقدَّم غيرهم؟

لقد عمل الغرب الاستعماريّ على الإجابة عن هذا السُّؤال، من منظوره الاستعماريّ، وكثرت بحوثه في هذا المجال، ليحصِّل معرفة بالإسلام والمسلمين يوظِّفها في خدمة مشروعه الاستعماريّ. يقول عبد الهادي بوطالب في هذا الصَّدد: «فما كتب عن الإسلام خلال السنوات العشر الأخيرة، ممَّا تعجُّ به واجهات المكاتب في أوروبا والولايات المتّحدة الأميركيَّة وبمختلف اللغات، يفوق في حجمه ما كتبه الغرب عن الإسلام، منذ ظهور الإسلام إلى اليوم. وعلى سبيل المثال، نذكر أنَّ الإحصائيّات الفرنسيَّة تقول: إنَّ فرنسا وحدها سجَّلت ضمن بحوثها الجامعيَّة، خلال السنوات العشر المنصرمة، 5600 بحث جامعي عن الإسلام، وهو رقم قياسي بالنسبة إلى ما تحظى به القضايا الأخرى من اهتمام الجامعيِّين»[1].

وفي سبيل التعرُّف إلى رؤية الغرب الاستعماريّ، في بحوثه المذكورة، نعود إلى ما ذكره المستشرق رينان في هذا الصَّدد، ونعزِّزه بآراء اللورد كرومر في الصدد نفسه.

ألقى المستشرق الفرنسيّ أرنست رينان، في 29 آذار (مارس) من العام

(1) بوطالب، عبد الهادي: الصَّحوة الإسلاميَّة، ط1، بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1986م، ص31.

1883م، في جامعة السوربون في باريس، محاضرةً عنوانها: «**الإسلام والعلم**» جاء فيها: «إنّ مسؤوليّة تأخُّر المسلمين ترجع إلى الإسلام، كما إنّ العرب والمسلمين لم يبدعوا حضارةً قط، وإنَّما قاموا بتعريب الحضارة اليونانيَّة»[1].

وفي الرَّد على هذا الزَّعم، سأل عباس محمود العقَّاد ساخرًا، ومقرِّرًا حقيقة؛ مفادها: أنّ حضارة اليونان نفسها ذات أصول مشرقيّة، فقال: «لماذا لم تظهر الفلسفة اليونانيَّة في جزيرة كريت قبل اتّصال الإغريق بمصر وبابل!؟»[2].

ويوضّح رينان نظريّته الاستعماريّة، فيقول، على سبيل المثال، في خطابه في الأكاديميّة الفرنسيَّة الذي ردَّ فيه على زميله في الأكاديمية نفسها دوليسبس: «إنّ مصر التي تملك موقعًا متميِّزًا في العالم، وفي التاريخ، والتي تشكِّل اهتمام الجميع، وتتجاذبها المصالح المشتركة للعالم أجمع، لا يمكن أن تظلَّ منتمية إلى نفسها، بل يجب أن يُفْرَض عليها تحييد شامل، لتصبح به ملكًا للإنسانيّة، والوسيلة المؤدِّية إلى ذلك هي قتل روحها الوطنيَّة»[3].

ويكشف عبدالهادي بوطالب وسيلة أخرى لتنفيذ المشروع الاستعماريّ؛ وهي التفرقة بين المسلمين، الذي ما انفكّ مستمرًّا منذ ذلك التاريخ حتى اليوم، فيقول: «إنّ رينان، حين يهاجم الإسلام بعنف، تلتبس في ذهنه المفاهيم؛ إذ يضع الشِّيعة المسلمين في جانب، والإسلام في جانب آخر، أو عن قصد يذكر هذا الالتباس ليبني عليه منطقه الزَّائف»[4].

والحقيقة هي أنّ هذا «**المنطق الزائف**» هو الأداة التي استخدمت في خدمة المشروع الاستعماريّ، وما زالت تستخدم حتى الآن، وها نحن نرى نتائجها في حروب التكفيريّين ورعاتهم الوحشيّة.

وزعم اللّورد «**كرومر**»، في كتابه الصَّادر العام 1908م، أنّ الإسلام قد

(1) بوطالب، الصَّحوة الإسلاميَّة، م.س، ص23.
(2) م.ن، ص28.
(3) م.ن، ص26.
(4) م.ن، ص25.

مات، أو أنّه على أبواب الموت، وأنّ الإصلاحات لا يمكن أن تعيد إحياءه؛ لأنّ الموت كامن في جوهره.

ويضيف، فيرى أنَّه ينبغي للعالم الإسلامي، كي يساير التطوُّر، أن يقبل التحديث من دون الإسلام؛ لأنّه لا ينسجم مع الحداثة، فالمسلمون جبريّون، والطريقة الوحيدة التي يسع الغرب التعامل بها معهم هي القمع والاحتواء، ومساعدة الحكومات المسلمة التابعة له والتي تقاوم إسلاميِّيها حتى يُزالوا، أو يخضعوا كلّيًّا[1].

وقد عمل الغرب الاستعماريّ على تنفيذ هذه النظريّة، علاوة على زرعه الكيان الصهيونيّ في قلب العالم الإسلاميّ؛ ليؤدّي دورًا يتمثّل في حيلولته دون وحدتها، وإبقائه الصِّراع دائمًا، وتبديده للثروات؛ إذ تُصرف الأموال على شراء الأسلحة، وتعوَّق التنمية، وتبقى المنطقة بؤرة توتر واضطراب وبرميل بارود جاهز للانفجار لدى حاجة المشروع الاستعماريّ إلى ذلك.

وفي هذا السيّاق، حذَّر شارل ديغول من «العملاق النائم الذي تداعب خصلات شعره مياه الأطلسيّ، وتغسل رجليه مياه المحيط الهادئ».

وهكذا أراد الغرب الاستعماريّ «أن يقتنع المسلمون بأنّ القبول بواقعهم والخضوع للغرب، وتبعيّتهم له، هو قدرهم المحتوم المفروض أن يتعايشوا معه، حالهم حال قول الشاعر:

كالعيس في البيداء يقتلها الظما والماء فوق ظهورها محمول

وفي جانب من هذا الواقع، انحصر الدين في غرف الحوزات والمراكز الدِّينيَّة، واقتصر النشاط على العبادات وإحياء الشعائر والتحلِّي بالأخلاق الإسلاميَّة، وفي جانبٍ ثانٍ، دخل إلى معتقدات الفئات الشعبيَّة كثير من الخرافات، علاوة على الجهل بالمسلم الآخر، وفي جانب ثالث نهض علماء أجلاء كبار، وسعوا إلى التجديد؛ ومنهم: جمال الدين الأسد آباديّ (المعروف

(1) انظر: التسخيري، محمد علي: حول الصحوة الإسلاميّة، ط2، طهران، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، 1432هـ.ق/ 2011م، ص170؛ مجموعة من الباحثين، الصَّحوة الإسلاميَّة - حقيقتها وسبل دعمها وترشيدها-، م.س، ص170-171.

بالأفغانيّ)، محمد عبده، أبو الأعلى المودوديّ، ابن باديس، محمد إقبال اللاهوريّ، الميرزا النائينيّ، والعلامة الطباطبائيّ...، علاوة على قيام حركات إسلاميَّة دينيَّة سياسيَّة لا يتّسع المقام للتفصيل في شأنها...

وقد عمل هؤلاء العلماء على الإجابة عن الأسئلة المستجدَّة، ففي الإجابة عن السؤال: «لماذا تأخَّر المسلمون وتقدَّم غيرهم؟». قال «الأفغاني»؛ كما جاء في «العروة الوثقى»: «إنّ المسلمين، بأصول دينهم، أنور عقلًا، وأنبه ذهنًا، وأشدّ استعدادًا لنيل الكمالات الإنسانيّة، ولما سلخ في نفوسهم من جذور المعارف التي أرشدهم إليها دينهم، ونالوا منها النَّصيب الأعلى في عنفوان دولتهم، فإنّهم يعدّون أنفسهم أولى الناس بالعلم وأجدرهم بالفضل»[1].

وإذ قرَّر ذلك، عاد إلى التاريخ والواقع، فقارن بينهما، وانتهى إلى الإجابة عن السؤال: ما هو السبب في هذا الفرق بين المسلمين وغيرهم، فقال: «كانت أرض المسلمين تمتدّ من ساحل المحيط الأطلسيّ حتّى قلب بلاد الصِّين، وكانت كلّها مستقلَّة وعامرة وأفضل بقاع الأرض...، أمّا الآن، فأراضي المسلمين منهوبة، وأموالها مسلوبة، يحتلّ الأجانب بلاد المسلمين، ويصادر الآخرون ثرواتهم...، فما هو السبب؟ الاستعمار هو المشكلة، وهو ما يجب التخلُّص منه. وقبل ذلك، ينبغي التخلُّص من النظرة الدونية إلى الذات، ومن الإحساس بالإحباط، والعودة إلى أصول الدِّين الحنيف...»[2].

لكنّ هذه الجهود لم تثمر صحوة إسلاميَّة، إذ إنّها بقيت جهودًا فرديَّة نخبويّة، ولم تشكّل ظاهرة شعبيّة - نخبويّة في آن، لهذا، وكما يقول حسين منصور الشيخ: في مرحلة الاستقلال، «تقاسم المجتمعات الإسلاميَّة اتّجاهان: أحدهما غربيّ والآخر شرقيّ، فيما غاب عنها النموذج الإسلاميّ، وأصبحت المناداة به ضربًا من الرجعيَّة والأصوليَّة المتشدِّدة»[3].

(1) بوطالب، الصَّحوة الإسلاميَّة، م.س، ص27.

(2) انظر: خسروشاهي، هادي: في سبيل الوحدة والتقريب، ط1، طهران، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب - المعاونية الثقافيّة، 1432هـ.ق/ 2011م، ص316-317.

(3) انظر: الفضلي، عبد الهادي: الإسلام والتعدّد الحضاريّ، إعداد وتقديم: حسين منصور الشيخ، ط1، بيروت، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، 2014م، ص11.

### رابعًا: الوحدة الإسلاميَّة.. الهدف الأساس للصَّحوة:

إنّ الهدف الأساس للصَّحوة الإسلاميَّة هو الوحدة الإسلاميّة، وهذا أمر بديهيّ؛ لأنّ باعِثَي الصَّحوة ومَصْدَري الإسلام، لدى المذاهب الإسلامية جميعها، هما: القرآن الكريم والسنَّة النبويّة الشريفة، كما إنّ أصول الإسلام لدى هذه المذاهب جميعها هي أصول واحدة، فالجميع يؤمنون بالله -سبحانه وتعالى- ربًّا، وبمحمد ﷺ نبيًّا، وبالقرآن الكريم كتابًا، وبالكعبة المشرَّفة قبلةً وبيتًا يُحَجُّ إليه، وبأنّ الإسلام خاتم الأديان، ورسوله ﷺ خاتم الرُّسل، وكلّ ما جاء به حقٌّ، وبأنّ الساعة حقٌّ، والبعث حقٌّ، والحساب في الدَّار الآخرة حقٌّ، والجنَّة والنَّار حقٌّ.

والواقع يفيد أنّ أحدًا لم ينكر أصلًا ولم يزد أصلًا.

هذا مضافًا إلى الإيمان بأنّ ثمّة هدفًا من الخلق: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا...﴾[1]، وبأنّ هذا الهدف هو عبادة الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[2].

وهذا يعني أنّ المسلمين جميعهم يسعون في هذه الحياة في سبيل تحقيق هدف واحد، هم مسؤولون عنه: ﴿وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾[3].

ومن ينهض منهم بأداء المسؤوليّة يُعدُّ من المبشَّرين: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝١٧ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[4].

#### 1. ثنائية المبشّرين والغافلين:

إنَّ عباد الله -سبحانه وتعالى- المبشَّرين هم الذين يصغون إلى القول، ويُعْمِلون عقولهم ويهتدون إلى الأحسن؛ ما يعني أنّهم يتميَّزون بمزايا: أولاها السعي إلى تحصيل المعرفة وبذل ما أمكن من الجهد في سبيل

(1) سورة آل عمران، الآية 191.
(2) سورة الذاريات، الآية 56.
(3) سورة الصَّافات، الآية 24.
(4) سورة الزمر، الآيتان 17-18.

ذلك، وثانيتها إعمال العقل واختيار الأحسن، وثالثتها إنجاز ذلك في فضاء هداية الله سبحانه وتعالى؛ أي في فضاء أصول الإسلام وأسسه.

وفي مقابل هؤلاء المهتدين أولي الألباب... المبشَّرين، يوجد من لا يستخدم ما أعطاه الله -سبحانه وتعالى- من قدرات، فكان كالأنعام؛ بل أضلّ سبيلًا، هؤلاء هم الغافلون: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾[1].

وهكذا تتشكّل ثنائيّة تضاد: طرفها الأوّل المهتدون، أولو الألباب المبشَّرون، وطرفها الثاني الغافلون، معطِّلو قدراتهم، المنذرون...

وقد تكرَّر التركيز على التدبُّر والتعقُّل في القرآن الكريم؛ ومن ذلك: ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾[2]، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[3]؛ ما يفيد أنّ الإنسان يكون أحد اثنين: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[4]، وعلى هذا الأساس يحاسب: ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾[5].

## 2. بين الخلاف الحقيقيّ واختلاف المذاهب:

إنّ هذا التمييز بين مُبَشَّر ومُنْذَر، وبين شاكر وكفور، يحدِّد الخلاف الحقيقيّ من نحو أوّل، وسبل التعامل مع اختلاف المذاهب من نحو ثانٍ.

ففي صدد الخلاف الحقيقيّ، من الواضح أنّه بين المؤمنين والمبشَّرين من جهة، والغافلين الأضلّ من الأنعام من جهة ثانية؛ كما مرَّ بنا آنفًا.

وفي صدد الاختلاف بين المذاهب، يبدو واضحًا أنّه ليس من هذا النوع من الخلاف، وإنّما هو عائد إلى الاجتهاد لسدِّ الفراغ بعد غياب رسول الله ﷺ وانقطاع الوحي.

(1) سورة الأعراف، الآية 179.
(2) سورة ص، الآية 29.
(3) سورة النحل، الآية 67.
(4) سورة الإنسان، الآية 3.
(5) سورة الرَّعد، الآية 21.

ويمكن بيان ذلك وفق الآتي:

- القرآن الكريم والسنَّة الشريفة هما مصدرا التشريع في الإسلام. والقرآن الكريم قاطع في أصول العقائد، وفي ما لا يتغيَّر بتغيُّر الأزمان والأحوال والمصالح، وفي ما عدا ذلك من أمور يتمُّ التدبُّر والتأويل والاجتهاد. وفي هذه الأمور كان الخلاف؛ تبعًا لاختلاف الأفهام وقواعد النَّظر وتقدير العلل والمصالح.

- السنَّة الشريفة تأخَّر تدوينها، وتعدَّدت الرِّوايات، واختُلف فيها لأسباب كثيرة؛ ما أفضى إلى خلاف في أمور ليست من أصول العقائد، وإنّما في الفروع.

- مستجدَّات الحياة لا تنتهي، وقد جددت الأسس والأصول والمبادئ للنظر إلى هذه المستجدّات؛ لكن قد يقع الخلاف لدى النَّظر إلى كثير من الأمور...

هكذا وقع الخلاف الفقهيّ، ويقع، وينقل أنّ الإسلام عرف مذاهب كثيرة، بلغت، منذ أوائل القرن الثاني حتى منتصف القرن الرابع الهجريَّين حوالي خمسين مذهبًا، بقي منها سبعة مذاهب حتى اليوم؛ هي: الإمامي الاثنا عشريّ، الزيديّ، الحنفيّ، الشَّافعيّ، المالكيّ، الحنبليّ، والأباضيّ.

إنَّ هذا الاختلاف، إنْ أُجيد تدبُّره، ثروةٌ وغنى؛ لأنّه وليد اجتهاد حرّ، وتشاور مثمر، وبه يكون المتدبِّر من المبشَّرين المهتدين، وإنْ تمّ فَقْدُ «**التدبُّر**»؛ كان الفاقد من المنْذَرين، وأشبه بـ «**الأنعام**»، بل أضلّ؛ إذ يصل به الأمر إلى تكفير المسلم الآخر وقتله.

جاء في القرآن الكريم نهي عن أن يكون المؤمن من «**الغافلين**»: ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾[1]، وأنذر الغافلين الظَّالمين بالعقاب: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[2].

(1) سورة الأعراف، الآية 205.
(2) سورة الشعراء، الآية 227.

### 3. ثنائيَّة الوحدة والاختلاف:

الاختلاف في الأمّة الواحدة أمر طبيعيّ، وقد نصَّ القرآن الكريم على الوحدة والاختلاف في آن، فقال في الوحدة: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾[1]، وقال في الاختلاف: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[2]. وهذا يعني أنّ الأساس هو وحدة الأمَّة، وإنْ كان من اختلاف في ما بين مكوِّناتها، فالهدف منه «**التعارف**»، والمعيار في التفاضل هو «**التَّقوى**».

وجدير بالذِّكر هنا أنّ من غير الممكن أن يتحقَّق تعارف حقيقيّ بين المسلمين؛ إلاَّ إذا وجدت لغة جامعة، إلى جانب اللغة القوميَّة لكلّ شعب، ولتكنْ هذه اللغة لغة القرآن الكريم والسنَّة النبويّة الشريفة والعبادة والتراث الإسلاميّ؛ أي اللغة العربيَّة، وليس اللغة الإنكليزيّة، التي يتمّ التفاهم بها اليوم بين المسلمين مختلفي اللغة!

### 4. سُبل حلِّ الاختلاف:

وقد حدَّد القرآن الكريم سبيل حلِّ الاختلاف، فجاء فيه: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾[3]، ورأى أنّ من يتحوّل بالاختلاف إلى تفريق المسلمين إلى شيع، ولا يردُّ الأمر إلى الله، سبحانه وتعالى، ليس من المسلمين، وسيحاسب على ما قام به: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾[4].

ولا تعني الوحدة أن يتشيَّع السُّنِّي، أو أن يتسنَّن الشِّيعي؛ وإنَّما تعني العودة إلى أصول الإسلام، والنظر إلى مصلحة الإسلام والمسلمين، والاتّفاق على مشروع يحقِّق هذه المصلحة، يتمّ السعي إلى تحقيقه، وصولاً إلى

(1) سورة الأنبياء، الآية 92.
(2) سورة الحجرات، الآية 13.
(3) سورة النساء، الآية 59.
(4) سورة الأنعام، الآية 159.

تشكيل شكلٍ من أشكال الكيان الواحد الاقتصاديّ والثقافيّ والسياسيّ...

وهذا ما نستفيده ممّا جاء في القرآن الكريم، كما مرَّ بنا قبل قليل، ومن قراءة وقائع التاريخ الإسلاميّ؛ ومن هذه الوقائع أنّ النبيَّ ﷺ أسّس، منذ استقرَّ في المدينة المنوَّرَة، الكيان السِّياسيّ الواحد القائم على أساس نصٍّ مكتوب ينظِّم العلاقات بين مكوِّنات سكّان المدينة المنوَّرة، علاوةً على قيامه قبل ذلك بالمؤاخاة بين المسلمين.

هذا نهج في التعامل مع الآخر المختَلَف معه، وفي حلِّ الخلاف. وتكتمل معالم هذا النهج عندما نقرأ خطاب الإمام علي عليه السلام للخوارج، إذ قال لهم: «**إنَّ لكم عندنا ثلاثًا ما صحبتمونا: لا نمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسمه، ولا نمنعكم الفيء ما دامت أيديكم في أيدينا، ولا نقاتلكم حتى تبدؤونا**». الواضح أنّ هذا النهج هو مثل أعلى في التسامح مع فئة لا تعرف التَّسامح عند الخلاف في الرَّأي[1].

ويرى الشيخ محمود شلتوت أنّ الطريق الوحيد لثبوت العقائد هو القرآن الكريم، واعتماد نوع محدَّد من آياته هو قطعيّ الدلالة، ولا يحتمل معنيين فأكثر، والحديث الشريف، شريطة أن يكون قطعيًّا في وروده وفي دلالته. ويشير إلى مسألة مهمَّة؛ وهي أنّ الانقسام الحادّ يتمَّ تجاوزه كلّما تقارب المسلمون سياسيًّا. وذكر أنّه كان يعرض آراء المذاهب في المسألة الواحدة، بما فيها المذهب الشيعيّ، وكثيرًا ما كان يرجِّح رأي هذا المذهب؛ خضوعًا لقوّة الدليل[2].

إنّ الخضوع لقوَّة الدليل يعني أنّ على الفقيه أن يبني أحكامه وأقيسته وتحقيقاته، في كلّ أمر من أمور الشَّرع، على أساس الكتاب والسنَّة، فإنْ تجاوزهما إلى اجتهاد لا يستند، ابتداءً ولا ينتهي بوسيلة مشروعة إلى

(1) انظر: الوحدة الإسلاميَّة، جمع وترتيب: عبدالكريم الشيرازي، ط2، بيروت، مؤسّسة الأعلمي، 1412هـ.ق/ 1992م، ص241.

(2) انظر: سلهب، حسن: الشيخ محمود شلتوت -قراءة في تجربة الإصلاح و الوحدة الإسلاميّة-، ط1، بيروت، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلاميّ، 2008م، ص68؛ 73؛ 150؛ 152.

أحد هذين الأصلين؛ فقد تجاوز حدَّه، واتّخذ لنفسه سلطة الاستقلال في التشريع. وهذه بديهة ليست محلًّا للنظر والبحث في أيّ مذهب من المذاهب الإسلاميَّة، ومرجعها إلى قوله تعالى: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ...﴾[1]، ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾[2]. وما ليس فيه نصّ يستخرج حكمه من عمومات الكتاب والسنَّة، إذ لم يفرَّط فيهما من شيء: ﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ﴾[3]، ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾[4].

## خامسًا: الأمر بتحقيق الوحدة الإسلاميَّة في القرآن الكريم والسنَّة الشريفة:

إنَّ المسلم الذي صحا، ووعى ذاته، يعود إلى القرآن الكريم بعد أنْ لم يعد القرآن بالنسبة إليه قطعة أثاث تُزيَّن بها المكتبة، أو يُتَبَرَّك بها...!، وإلى السنَّة الشريفة، فيجد الأمر بتحقيق الوحدة الإسلاميَّة محورًا مركزيًّا من محاوره، فالمسلمون أمّة واحدة: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ﴾[5]، لا بدّ لهم من الاعتصام بـ«**حبل الله**»؛ أي بالعقيدة التي مثّلت نعمةً ألَّفت القلوب...: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾[6]، والأمَّة التي تعتصم بحبل اللهَ، وتتوحَّد في سعيها في هذه الحياة، فتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، هي خير أمَّة أخرجت للناس: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ﴾[7]، يوالي بعضها بعضها الآخر: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ

(1) سورة الأنعام، الآية 57.
(2) سورة المائدة، الآية 44.
(3) سورة الأنعام، الآية 38.
(4) سورة النحل، الآية 89.
(5) سورة الأنبياء، الآية 92.
(6) سورة آل عمران، الآية 103.
(7) سورة آل عمران، الآية 110.

بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1].

ويتكرَّر الأمرُ القرآني بالوحدة في السعي إلى الخير: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰۖ﴾[2]. ففي سعي المؤمنين إلى البرِّ والتقوى، يتوحَّدون في شعورهم، في خشوع قلوبهم لذِكْر الله، ولما نزل من الحقّ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾[3]، ويكونون إخوة في الإيمان: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[4]، أشداء على الكفَّار رحماء بينهم: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ﴾[5].

وممَّا جاء في السنَّة الشريفة، في هذا الشأن: «**المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله. المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله**»[6]. «**التقوى هاهنا -وأشار بيده إلى القلب- وبحسب امرئ من الشرِّ أن يحقِّر أخاه المسلم**»[7]، «**من أصبح لا يهتم بأمور المسلمين فليس منهم، ومن سمع رجلًا ينادي: «يا للمسلمين!» ولم يجبه، فليس بمسلم**»[8].

وإذ يحدث هذا يكونون كالجسد الواحد: «**مثل المؤمنين، في توادّهم وتراحمهم؛ كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالحمَّى والسهر**»[9].



(1) سورة التوبة، الآية 71؛ راجع: سورة الأنفال، الآية 73؛75.
(2) سورة المائدة، الآية 2.
(3) سورة الحديد، الآية 16.
(4) سورة الحجرات، الآية 10.
(5) سورة الفتح، الآية 29.
(6) ابن حنبل، أحمد: مسند أحمد، لا.ط، بيروت، دار صادر، لا.ت، ج2، ص277؛ ج5، ص24.
(7) م.ن، ج2، ص277.
(8) الكليني، محمد بن يعقوب: الكافي، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، ط4، طهران، دار الكتب الإسلاميّة، 1365هـ.ش، ج2، ص164.
(9) ابن حنبل، مسند أحمد، م.س، ج4، ص270.

## سادسًا: من موانع الوحدة وسُبُل إزالتها:

إنْ يكن الأمر هكذا، فما هي الموانع التي تحول دون الوحدة؟ ويمكن الكلام على هذه الموانع تحت عنوانين؛ أوّلهما: العوامل الخارجيَّة، وتتمثّل في الاستعمار الغربيّ، الذي قسَّم العالم الإسلاميّ إلى كيانات تتوافر فيها عوامل الصِّراع، وعمل على إبقاء الأمَّة في حال التخلُّف: مزارع وأسواق، وعلى تعويق التنمية فيها، وعلى إذكاء الخلافات والنزاعات القوميّة والقطريّة والعنصرية والطائفيَّة والمذهبية. وثانيهما: العوامل الداخليَّة، وتتمثّل في الحكومات التابعة، المتّخذة الإسلام غطاء، و»فقهاء السلطان» الذين «**يسوِّغون**» أحكام هذه السلطات ويستسهلون الفتوى، وقفل باب الاجتهاد، والاهتمام بأمور ثانويّة، والقشريّة والتحجُّر والتعصُّب الحزبيّ، وفقدان التخطيط... واستحضار الخلافات التاريخيَّة، والجهل بالمسلم الآخر وعدم قبوله.

وفي هذه الأيام، برز «**وباء**» أسهمت العوامل الخارجيَّة والداخلية في تكوينه؛ وهو التكفيريّون الإرهابيّون، الذين يُحلُّون دم الآخر المختلف معهم، ويدَّعون أنّ هذه هي رؤية الإسلام! والحقّ أنّ العودة إلى القرآن الكريم تفيد، فضلًا عمَّا سبق ذكره، أنّ: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾[1]، ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا﴾[2]، وأنّ العودة إلى السنَّة النبويّة الشريفة تفيد أنّ النبي ﷺ استنكر قتل أسامة بن زيد لرجل نطق بشهادة أنْ لا إله إلا الله بقوله: «**أقتلته بعدما قال: لا إله إلاَّ الله!؟**»[3]، وأنّه لم يقتَل منافقي المدينة، وهو يعرفهم، ويعرف ما يصنعون، وأنّه قال للمكِّيِّين -وفيهم من فيهم!- لدى فتح مكة: «**اذهبوا فأنتم الطلقاء**»[4].

ومن هذا المنطلق، لا بدّ من تحديد سُبل التَّعامل مع الآخر المختلف؛

(1) سورة المائدة، الآية 32.

(2) سورة النساء، الآية 92.

(3) البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، لا.ط، بيروت، دار الفكر، 1401هـ.ق/ 1981م، ج8، ص36.

(4) الكليني، الكافي، م.س، ج3، ص513.

وبالعودة إلى القرآن الكريم نجده يحدِّد سبلًا للتعامل مع الآخر المختلف، كما في عدم نهيه المؤمنين عن برِّ الذين لم يقاتلوهم: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[1]، ودعوته إلى عدم إكراه الآخر على الدين: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ﴾[2]، وإلى الدعوة إليه تعالى بالحوار اللَّين المستند إلى البراهين، وإنْ طال؛ بوصفه هو سبيل التعامل مع الآخر: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾[3]، ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ﴾[4]، ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾[5]. ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[6]، ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾[7]...

## خاتمة:

إنَّ تكتل القوى المتجانسة، في هذا العالم، يجعل منها قوَّة فاعلة، فكيف إنْ صحا المسلمون وعادوا إلى قرآنهم وسنَّة نبيِّهم ﷺ، ووعوا ذاتهم وامتلكوا هويّتهم، وسعوا إلى تحقيق أهدافهم، موحَّدين مواصلين حوارهم؟ إنّ هذا سيجعل منهم قوَّة كبرى تؤهّلهم إلى ذلك، بخاصّة إذا لاحظنا -علاوة على ما سبق- ما يمتلكون من حجم سكّانيّ وموارد طبيعيّة ووضع جغرافيّ!

هذه المهمَّة هي أهمّ مهمَّة في هذه المرحلة من التاريخ، وهي

(1) سورة الممتحنة، الآية 8.
(2) سورة البقرة، الآية 256.
(3) سورة النحل، الآية 125.
(4) سورة يوسف، الآية 108.
(5) سورة طه، الآيتان 43-44.
(6) سورة العنكبوت، الآية 46.
(7) سورة آل عمران، الآية 64.

مسؤوليّة الجميع: القادة، العلماء، المثقّفين، العمّال، والفلاحين...، ويتحقّق ذلك من طريق العودة إلى الإسلام متمثّلًا في مصدرَيه: القرآن الكريم، والسنّة الشريفة، وما يتمّ الاتّفاق عليه، في صدد المسائل المستجدّة، من طريق الحوار المفروض أن تقوم به مؤسَّساته، المركزيّة والفرعيَّة، وخصوصًا المدنيَّة والأهليَّة، الفاعلة عمليًّا في مختلف المجالات، لتُعَمّم الصَّحوة الإسلاميَّة، وتصبح صحوة شعبيّة نخبويَّة في آن، وليست فرديّة نخبوَّية فحسب.

ويمكن، بغية تحقيق هذا الهدف، الممهِّد لقيام شكل من أشكال الوحدة الكيانيّة، استخدام مناهج التربية والتعليم في المدرسة والجامعة، والمحاضرات، والندوات، والمؤتمرات، والبحث العلميّ المشترك، والصحافة، والإذاعة، والتلفزة، والإنترنت، والأدب، والرَّسم، والموسيقى، والسينما، والدراما التلفازيّة، وإعادة دور المسجد؛ شريطة أن يكون أئمّة الجماعة واعين بقضايا الأمّة الواحدة ومستقبلها.

وهذا يكوِّن ثقافة إسلاميَّة منتجة وفاعلة على مختلف المستويات، فيتمّ الاتّصال الذي انقطع بين المسلمين الذين يعرفون عن تراث الغرب أكثر ممّا يعرفون عن أنفسهم، وعن التراث الإسلاميّ، وتراث الأقطار الإسلاميَّة!

فالمهمّة الأساس، إذًا، تتمثّل في خلق جيل مسلم توحّده العقيدة والثقافة والشعور والتضامن والهدف والانتماء... وقضايا مشتركة؛ أهمُّها: قضيّة تحرير فلسطين والقدس، ومقاومة الاستعمار بمختلف أشكاله، والخلاص من الأنظمة المستبدَّة الفاسدة.

وختامًا يخطر هذا السؤال: هل كان الإسلام نائمًا فصحا؟!

لا، فعمر الإسلام هو عمر البشر، يتجدَّد في كلّ عصر، ولكلِّ عصرٍ مستجدَّاته. ومن غفا هم المسلمون، غفوا زمنًا طويلًا، ثمّ صحوا...!